الأهرام
١٩٧٨/٢/٧

صندوق الدنيا

أم كلثـــوم

فى مثل هذه الايام منذ سنوات ثلاث ماتت امراة كانت شوارع العالم العربى كله تخلو من الناس حين تشرع فى الغناء ..

ماتت ام كلثوم وتمر بنا ذكراها :

ماتت عن تركة مدهشة من الاغنيات وقدرة أعجب على تحريك مشاعر الحب وايقاظ العشق المجرد للعشق ذاته ..

قبل ان تغنى ام كلثوم كان الناس يحبون موضوعا معينا .. وبعد تراثها فى الغناء صرنا نحب الحب نفسه ..

وقد أحس الشعراء من المؤلفين للاغانى بهذا الاحساس ، فوضعوه على طرف لسانها ليزيد حلاوة حين تغنيه .. وغنت ام كلثوم « صبحت أحب الحب .. من بعد عشق الحبيب » .. وصدق الناس ماقالته لانه كان حقيقة شعورية .. وام كلثوم عبقرية لاتتكرر فى حياة الشعوب كثيرا ، وهى مزيج عجيب من قمح الحقول وحضارة الفلاحين وحزن المصريين المقهور وصوفية الموسيقى الشرقية وحنينها الى تجاوز المحبوب الى الحب ذاته ، كمرحلة لابد منها لتجاوز الحب الى المجرد والمطلق سبحانه ..

وقد اتهم المثقفون الغربيون واصحاب الانواق المولعة بالجاز أم كلثوم بانها أعانت على ضياع الوقت والتخلف وساعدت على تخدير الناس ونشرت معانى الذل فى حكايات العاشقين كما اكتفت طغيان الرجل فى مضمون أغانيها ، وهذه التهمة بلاساقين ، والصحيح ان ام كلثوم حين أحيت مشاعر الحب فى وجدان الناس اعانتهم على احتمال المتاعب وتجاوز الهموم .. واى فن عظيم لابد ان يعين على احتمال المتاعب وتجاوز الهموم ..

وحين ماتت ام كلثوم ، مات بموتها فن الارتجال فى الاغنية العربية ، وهو فن إنتعش فى عصر اسحق الموصلى وزرياب وكانت ام كلثوم هى آخر حلقة فى السلسلة الذهبية ..

والارتجال الفنى يعنى ان يتجاوز صوت المغنى لحن الملحن ، ويتصل بحضور المستمعين ، ويخرج من نقطة الكلمة الى الآهات والليالى .. ويعود بعد هذا الابداع الى نفس النقطة .. وبهذا الخروج على اللحن والالتزام به فى نفس الوقت يثرى المغنى غناءه وتتكامل قيمة الأغنية على بعث حقل الحنين المهيب وتداعى الصور ..

وأعجب شىء فى احتفالنا بذكرى ام كلثوم اننا نعيدها الى الحياة ونستمع لاغانيها ، وأعجب شىء فى عمر الفنان انه إذا مات فى حياته من أجل اتقان فنه ، لم يمت فنه بموته ، وإنما يعيش بعده إشارة الى أن الجمال والحب يقاومان الموت ، ورغم خطورة الموت وفداحته فانه لايقلب سوى الجسد ، اما الروح فتتجر دائما

أحمد بهجت

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية